السر الذي يفلت من أكفنا

ياسين طه حافظ

دخلتُ مثل هارب، سرادقٌ يدور بي
من حاجب لحاجِب..
دخلت كان الجالسون كلهم مثلي وهذا
الصمتُ مغبَرٌ كما كانَ
وهذه الوجوه قانطاتٌ جاوزَتْ موسمَها
تتلف صمتاً وانتظاراً،
انه التحنيط للأحياء
هذي أوجهٌ يابسة ورِيحُ مومياءْ

صمتٌ وأقلام بلا كتابةٍ، بعضُهم
يريد أن يخطَّ،
بعضهم يريد أن يقولَ
بعضهم شحوبهُ يزداد بين لحظة ولحظةٍ
كأنه يمضي إلى المجهولِ
أو يغرق في مكانهِ..

هل هذه فاطمةٌ، اوفيليا، ليلى التي
غيّبها التاريخ أو سافو التي أضاعها
الرواة؟

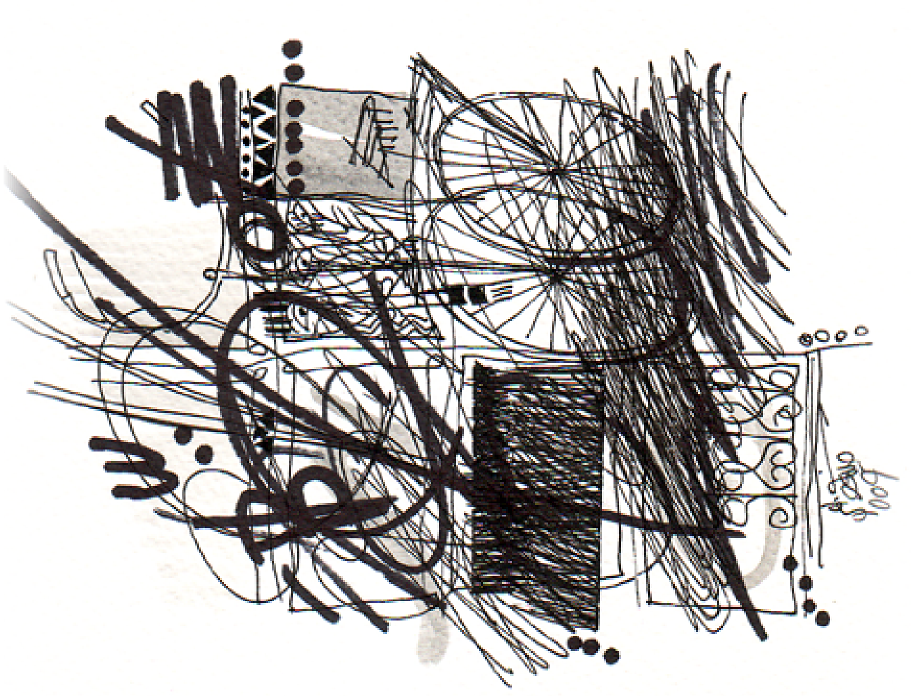

أم هذه روحُ لاولاك جميعهن، أوهَمَتْ
كل الذين حولها؟

من غرفة لغرفةٍ.. تأتي وتمضي، تلكم
الأوراقْ
علامةٌ أو حجةٌ،
بغنج، بلا مبالاة، بلمح أنها تدري
بما يكون... مدّتْ يدَهاً
ونطقت بكلمتين أو ثلاث، لمَعَتْ
وانفرطتْ قلادةٌ من ذهبٍ على البلاطِ،
اضطرب المكانُ،
حرّكتْ بهجتَها بينهُمُ
الجالسون، الباب والأوراق والمقاعدُ ،
الناسُ الذين في الممرّ.. نالوا حصةً
من فرحٍ

وحينما الأناملُ الخمسةُ، ردّتْ خلفها البابَ
لتمضي،
احتفظ المكانْ
بضوئها
وصوتها
وذلك السرِ الذي يفلت من اكفّنا
من أول العَصورِ حتى الآن..

الروائي الليبي إبراهيم الكوني:

ما زلنا نتخبّط في عصر الظلمات.. ولم ندخل مرحلة التنوير بعد!

على هامش معرض أبو ظبي الدولي للكتاب التقى نخبة من الصحفيين والكتاب العرب بالروائي الليبي إبراهيم الكوني وحاوروه في موضوعات شتى بعد أن قدّم واحدة من محاضراته القيمة عن تجربته الإبداعية التي تمتد إلى أوائل سبعينات القرن الماضي وحتى يومنا هذا. وقد كوّن خلال هذه العقود الأربعة الماضيات عدداً كبيراً من الآراء والمفاهيم الثقافية والفكرية والسياسية أثبت من خلالها وجوده الإبداعي في بلده ليبيا وفي المهاجر التي عاش فيها مثل سويسرا وبولونيا والاتحاد السوفييتي.

أبو ظبي/ عدنان حسين أحمد

كما أصدر حتى الآن خمسة وسبعين كتاباً في القصة والرواية والنقد الأدبي. ولعل القارئ الكريم يتذكر مجموعاته القصصية الأولى مثل "الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة" و"جرعة من دم" و"شجرة الرتم"، أما رواياته المستقرة في الذاكرة فهي كثيرة ولا يمكن حصرها في هذا المجال الضيق، ولكننا يمكن أن نشير إلى "البئر"، "نداء الوقواق"، "نزيف الحجر"، "المجوس"، "السحرة" و"رسول السماوات السبع". لم يأخذ هذا اللقاء الخاص مع الروائي الليبي إبراهيم الكوني طابعاً أدبياً على الإطلاق، ذلك لأن معظم الصحفيين كانوا يبحثون عن تصريحات سياسية مثيرة تتعلق بالآراء التي كوّنها بعد ثورات الربيع العربي التي اجتاحت تونس ومصر وليبيا واليمن، ولما تزل مستمرة في سوريا، فلاغرابة أن يكون مفتتح هذا الحوار سياسياً ويؤشر من دون مواربة على صعود نجم الأحزاب الدينية التي غنمت مكاسب ومنجزات الثورات العربية من دون أن تشارك فيها. وقد استغرب الكوني في كيفية إدعاء رجل الدين العربي الذي لم يسهم كما أسهم الشباب مثلاً في تفجير هذه الثورات التي انتهت بإطاحة أعتى الأنظمة الدكتاتورية المستبدة، بأنه طرف مشارك، بل ويعطي الحق لنفسه في أن يمثل هذا الدين برمته ويذهب إلى مستنقع لا أخلاقي وهو السلطة. أكد الكوني بأنه يميل إلى طرح الأسئلة أكثر من تقديم إجابات جاهزة، وهو يدعو ممثلي هذه الأحزاب الدينية إلى أن يحافظوا على نقاء أديانهم، وأن لا يزجوها في "المبايعات" التي وصفها الكوني بأنها لا أخلاقية، "لأن صاحب السلطة لا يستحي حينما يلجأ إلى أية حيلة أو ذريعة خسيسة من أجل البقاء في السلطة"! أما المحور الثاني المهم الذي توقف عنده الكوني فهو موقف المثقفين العرب ودورهم في ظل الأوضاع الراهنة التي شهدت انجرار الشعوب العربية وراء التيارات الإسلامية حيث قال: "إن المثقفين العرب يعانون من إقصاء ممنهج وقوي في كل الأجنحة، ومن كل السلطات سواء السابقة أو اللاحقة" وأضاف بأن ممارسة هذا الاقصاء لا يقتصر على السلطات، وإنما يقوم به الشارع العربي لذلك فهو قاس وخطير"، ويعزو الكوني ذلك إلى الإمكانيات المتواضعة للإنسان العربي الذي لا يقرأ كثيراً، ولم ينغمس في الشأن الثقافي بسبب لهاثه المتواصل وراء تأمين هاجس الطعام. وقد وصف الكوني هؤلاء الناس البسطاء بأنهم "يعيشون في كوكب، بينما يعيش المثقفون العرب في كوكب آخر) وهو يعتقد بأن ما يجري على أرض الواقع الآن هو نتاج لمراحل تاريخية سابقة، وأننا مازلنا نتخبط في عصر الظلمات، ولم ندخل مرحلة التنوير بعد! وفي رده على سؤال كاتب هذه السطور عن اختطاف الثورات العربية من قبل الأحزاب الدينية العربية قال: "إن غالبية الثورات تصب في نهاية المطاف في مصلحة أناس لا يستحقونها ولم ينزفوا فيها دماً ولا عرقاً، بينما يبقى النزهاء مهمشين، والبسطاء مضطهدين". لا يعتقد الكوني أن ليبيا تشذ عن شقيقاتها العربيات، فوضعها مثل أوضاع جيرانها من الدول العربية الثائرة التي أسقطت الطغاة، لكنها لم تقوّض مؤسساتهم التي رسخوها على مدى أربعة عقود أو يزيد. وعلى الرغم من تأكيده على أن الشعب الليبي هو شعب بسيط ومسالم، ولكنه، مع ذلك، ليس مثالياً، فالواقع يكشف أن هناك أطماعاً وعداوات ومشاحنات مستمرة، كما أن هناك جشعاً وإقصاءً للأقليات الأمر الذي يعمّق من هذه المشاحنات والخلافات التي لابد من إيجاد مخارج معقولة لها قبل أن تنفجر بوجه الجميع. يؤكد الكوني بأن عاش حياة طويلة وعريضة وعميقة، وقد قرأ التاريخ جيداً وصار بإمكانه أن يقول كلمته الموضوعية التي لن تسمح له، مع الأسم الشديد، بأن يكون متفائلاً جداً، فالتفاؤل هو نوع من الأحلام صعبة التحقيق.

البرج العاجي

فوزي كريم

ذات يوم في الأناضول

أسلوب المخرج الإيطالي أنطونيوني على الشاشة الفضية لا يعتمد حكاية ذات فعل حاسم. ما من شيء يحدث كما يبدو، ولكن وراء الاعتيادي أكثر من شيء يحدث. قبل يومين شاهدت فيلماً تركياً للمخرج نوري جايلان بعنوان "ذات يوم في الأناضول"(٢٠١٠) ينتسب إلى منحى أنطونيوني السينمائي، ولكن بشخصية بالغة الاستقلال والطموح. الفيلم طويل (ساعتان ونصف) وعلى شيء من الصعوبة، خاصة على المشاهد الذي لا يقدر على النبش في ما وراء الظاهر: حدث يتواصل طوال ليلة واحدة حتى صباح اليوم التالي. ثلاث سيارات تقل قوة من الشرطة مع محقق عدلي وطبيب، وعامليْ حفر بمساحيهما، يتوسطهم مُعتقل مقيد يقودهم إلى مكان جريمة قتل ارتكبها لسبب غير واضح، ودفن الجثة في مكان ما صار يزعم أنه لم يعد يتذكره. الأمكنة التي تتحرك فيها السيارات مرتفعات لا توحي بالراحة. ما من موسيقى تصويرية، فالمخرج وجد في صوت محركات السيارات وصوت الريح الشتائية ما يلائم مناخ فيلمه.

مع الوقت تصبح الجثة التي في مكان ما هي مركز الحدث، وهدفه. تقودهم كجاذبية سحرية في عتمة الليل. تتوقف السيارات بين حين وآخر لتختبر ذاكرة المعتقل بشأن هذا المكان أو ذاك. والفريق لا يملك من أمره وسط البراري الموحشة غير أن يتحدث مع بعضه في أمور شخصية لا قيمة لها، على الأقل في علاقتها بالملاحقة التي تبدو أحياناً عابثة لجثة ضحية في مكان مجهول. في رغبة للاستراحة يستضيفهم مختار قرية صغيرة. بعد تناول الطعام تدخل عليهم ابنة المختار بالشاي، تحمله في صينية يتوسطها فانوس نفطي، يكشف عن ملامح فتاة بالغة السحر. جمال ينتسب إلى لوحات رسام مثل رامبرانت. إلى إشراقة روحية تُطل علينا من الغيب. تبعث ضرباً من اليقظة في الجميع، حتى أن القاتل الشاب أجهش بالبكاء وكأنه استيقظ فجأة على مقدار خسارته.

الفيلم ليلي، شتائي في برار لا تتوقف فيها الريح. ينتهي، بعد العثور على الجثة المكبلة بإحكام، إلى مستشفى في مدينة صغيرة، ثم إلى غرفة تشريح الموتى، أو القتلى لغرض التحقق. الجراح جزار حقيقي ينصرف إلى النبش في أعضاء الجثة بلا مبالاة. يكتشف تراباً في الرئة فيقترح: "لعل القتيل دُفن حياً!" والطبيب المتأمل يصلُ بصمته ومراقبته هذا العالم العابث بعالم آخر بالغ الغموض.

فيلم أنطونيوني "الانفجار"(١٩٦٦)، الذي يحوم كالعنقاء حول جريمة قتل، ينتهي بشبان يلعبون كرة طائرة وهمية. فيلم جايلان هذا ينتهي بأطفال يلعبون كرة قدم. وكلاهما يسعى بالمشاهد إلى أفق ميتافيزيقي تتزاحم فيه التساؤلات.

شاهدت أكثر من فيلم في الأيام العشرة الماضية:
The Artist، Ordet (The Word)، Metcheal، Dangerous Methods، Coriolanus. وهي جديدة باستثناء الفيلم الدنماركي "الكلمة" (١٩٥٥). "الفنان" بالغ الطرافة والجمال لأنه يعتمد إغواء العودة إلى الفيلم الصامت بالأسود والأبيض. تخرج منه بخفة طائر، على عكس "ميشيل" الفرنسي الذي يقبض الروح بفعل موضوعه (شاب منحرف بصورة مرضية يختطف صبياً في قبو بيته ويواصل اغتصابه..)، وبفعل تقنيته الفرنسية البطيئة دون علة. "أساليب خطرة" يقتطع مرحلة خلاف حاسمة بين عالميْ النفس "فرويد" و "يونغ"، ويعرضها علينا في مناخ علاقة عاطفية بين "يونغ" والشابة الروسية التي أرسلها له "فرويد" للعلاج. في حين يذهب فيلم "الكلمة" إلى مدى أعمق، شأن "ذات يوم في الأناضول"، وشأن أفلام السويدي "بيرغمان". عائلة فلاحية متدينة، تدفعها مطامحها الروحية إلى عوائق محزنة. الحوار عماد الفيلم. دائم وغني بين أب يبحث عن سلام في الإيمان المعتدل، ابن مجنون يتصور نفسه المسيح (بفعل غرق في قراءة كيركغارد)، وآخر شاب صغير عاشق، وثالث لا إيمان له. أما "كوريولانوس" (عن مسرحية لشكسبير بالعنوان ذاته) فبالغ الدموية في تصوير عصاب الطاغية الذي لا يلين.

أفلام تُشبع النفس المعبأة بالتساؤلات.

اصدارات

ربما هي رقصة لا غير

صدرت عن دار المدى للثقافة والنشر رواية (ربما هي رقصة لا غير) للشاعر حسب الشيخ جعفر، وهي الاصدار الروائي الاول له بعد عدد كبير من المجاميع الشعرية على مدى نصف قرن من مسيرته الابداعية..

وجاء في نص الرواية

هكذا تم اللقاء القدري وبدأت قصتي انا مع هذه الحكاية ..

حملت الى المرأة هذه الاوراق قائلة انها تلقتها بالبريد من جارها، وبعد انتقاله من شقته. لم يكتب الفتى عنواناً ولم يقل أي شيء في رسالته التوضيحية غير التحية وهذه الكلمات. اسمحي لي يا جارتي الطيبة بأن أبعث بأوراقي هذه اليك. لقد أتممت كتابتها وانتهيت منها، واكملت يد أخرى مراجعتها وتشذيبها قبل انتقالي من الشقة وانا لا أريد أن اعود اليها بعد تنقيحها هي فأغير وأبدل ما كتب قد كتب كما تقول الامثال او الكتب القديمةّ لم اعد أتذكر أين قرأت هذه العبارة! وصدقيني يا سيدتي ان بقاء هذه الاوراق قريبة مني يسبب لي، إضافة الى رغبتي بتجميل أسلوبها مزيداً من الأسى والحزن الشخصيين، ما لا احتمله فقد أنهض من النوم او المكتب فجأة وأمزق هذه الاوراق.. لا لشي إلا لانها السبب في إثارة أساي وحزني.. وأنا لا أود أن أمزق أوراقي هذه وأرميها، إنها جزء من حياتي كما يقال في الكتب. وانا لست كاتباً أديباً، فما أنا غير مترجمّ وصدقيني أيضاً إن هذه الاوراق لا تنطوي على شيء، مهما صغر، قد يسبب إحراجاً لك او يمكن ان تخجلي منه، هي أوراق شخصية لا تعني أحداً سواي احتفظي بها سيدتي عندك، ودعيها نائمة في سلام، فإذا ضقت بها ذرعاً في يوم من الايام أودعيها يداً أمينة.. وستأخذ طريقها المقدّر ساعة يُراد لها ان تأخذه! وتذكري جاراً لن ينسى دفء يدك الصديقة!

وجهة نظر

اعـــــرف محـــدثـــك

أحمد حسين

ينشغل العديد من الناس البسطاء بسؤال محير ومحرج في الوقت نفسه حين يجالسون أحد المثقفين، السؤال هو: ما هي خلفية هذا المهذار وهويته الفكرية؟ هم يحارون في معرفة إلى أي جهة ينتمي، اليمين أم اليسار أم ما بينهما؟ وذلك ما يضعهم في حرج، فهم يعرفون مسبقا أن سؤالا كهذا ستكون إجابته إنفراجة هازئة لشفتيّ المثقف وبضع كلمات تدور في فلك التجهيل والاستخفاف وأحيانا الطائفية والعنصرية تماشيا مع الاتهامات الرائجة في عهدنا الجديد.

نصيحة مجربة أقدمها لهؤلاء البسطاء، هوية المثقف ليست طلسما بل هي أكثر الهويات افتضاحا، وبالإمكان معرفتها بسهولة، إن أكثر محدثك من استخدام المثل العليا والأخلاقيات والتبرؤ من معتقدات الغرب وحريتهم (الانحلالية) فأعلم أنك تجالس يمنيا، وإن هاجم مثقفك عقائد الآخرين دون أي مبرر وسفهها وجعل منهم أضحوكة ومثالا للشر والرذيلة فهو يساري، وإن بدا متساهلا وهادئا وميالنا لجانب من الأخلاق وشيئا من الانتقاد فالوسطية هي هويته، بل وأزيدكم أيضا، من السهل معرفة حتى الهوية الطائفية والعرقية للمثقف، فستجده يكثر من الاستشهاد بمقولات أو أخلاقيات وأفعال الإمام علي أو أبنائه أو أحفاده، أو يحبذ الإشادة بدولة عمر بن الخطاب ومواقفه وبطولاته، لتعرف من أي طائفة هو، وإن لم يتحدث عن أي دين فأعلم أنه على دين غير الإسلام، كذلك ستجده ينتقد الشوفينية العربية، أو الانفصالية الكردية، والعنصرية التركمانية، فيكشف عن أصوله العرقي، وستجد أيضا من يشيد بالأعراف والموروثات القبلية لتعرف لأي جغرافية ينتمي محدثك. لكن إن كان أياً من هؤلاء فأعلم أنه ليس بمثقف، بل هو مجرد قارئ لا يختلف عنك في شيء سوى أنه كرس جزءاً من وقته للقراءة حين كنت أنت منشغلا بتأمين متطلبات الحياة أو مأخوذا باللهو أو لحرمانك من نعمة القراءة.

الآن، كيف تعرف أنك تجالس مثقف؟ ستجده يكثر من تجهيل عامة الناس واتهامهم بالتخلف والرجعية والقبلية، ويزجهم في قفص الاتهام بجريرة ما حدث ويحدث، ويلي عليهم باللائمة لمشاركتهم في انتخابات طائفية عرقية، ويجلد ظهورهم لأنهم منقادون للأشخاص وليس للأفكار، لكنه في الوقت نفسه لم يأخذ دوره ووظيفته الأساسية في التثقيف والانتشال من الرجعية والتخلف، ولم يؤدِ واجبه بالحث على مجابهة ما جرى ويجري، كما أنه شاركهم في ثورة البنفسج التي لم تأت بغير ما أتت به في الدورات الانتخابية السابقة واللاحقة، كذلك يدعوهم لاتباع شخصه وفكره وهو ما ينقمه عليهم.

أيضا تعرف المثقف حين تجده يتحدث عن أمور ومثاليات بعيدة كل البعد عن الواقع المعاش، وتسمعه يثرثر بمصطلحات لا تنسجم حتى مع القواعد اللغوية كـ(المخيال) بدلا من الخيال، والـ(human) وليس الإنسان، أو البروليتاريا بدلا من العمال والفلاحين، وسيورد كذلك تصوراته عن دولة ما ورائية، قرأنا عنها في جنة عدن أو عند ظهور المخلص، وسط واقع لا تسمح مفخخاته الانتحارية والسياسية بالشرود الذهني ولا الاختلاء بالفكر.

لكن السؤال الأهم، لماذا دائما يرتضي المثقف الجلوس على كرسي السطوة النفسية التي ينتقدها ويجلدها بقسوة عند الساسة؟ لماذا ينتشي المثقف وهو ينظر للناس من علية يسعد بارتفاعها، ويتحدث باسما لأناس يتوسمون فيه الفائدة والتعلم ويبادلونه نظرة احترام وتقدير من المفترض أنها تبدر منه وليس منهم؟!